الذي له مع ابي العلاء المعري مراسلات تدل على علو كعبه في العلم والعرفان والجدل وسببها انه سمع بيت المعري المشهور وهو قوله

غدوت مريض العقل والرأي فأتني   تخبر انباء العقول الصحائح

فكتب اليه من رسالة . قد شددت اليه راحلة العقل في دينه وعقله الى الحكيم الذي يبتني انباء الامور الصحائح وانا اول ملب لدعوته معترف بميزته وهو حقيق ان لا يوطئني العشواء فيسلك بي المجاهل ولا يتعمد فيما يورده تلبيس الحق بالباطل واول سؤالي عن امر خفيف فان استنطقت نسيم الصبا سقت السؤال الى اليم اسأله عن العلة في تحريمه على نفسه الحيوان وكل ما يصدر الى الوجود من منافع حيوان الخ

حول كربلاء

١ — وصف جامع الحسين

ان الذي يجلب السائحين الى كربلاء هو وجود قبر الحسين بن بنت رسول الله واخيه العباس بن علي رضي الله عنهم وقبور اصحابه واعوانه الذين استشهدوا معه في واقعة الطف او يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ ٦٨٠ م وبذلك اصبحت كربلاء مقدس الشيعة ومزارهم يأتي اليها في كل سنة لزيارة التربتين — تربة الحسين وتربة العباس — من كل حدب وصوب زرافات زرافات وجماعات جماعات قادمين اليها من ديار قاصية وربوع نائية كديار العجم وربوع الهند وآسيا الوسطى حيث يكثر الشيعيون ولهذا ترى كربلاء لاتخلو من غرباء يعدون بالالوف العرض نفسه به وها نحن نصف للقراء ما في جامع الحسين من الابنية الضخمة والتزيينات الفاخرة التي هي من اثر ما تجود به ايدي الشيعة تدينا وحبا لآل البيت مستغنين عن وصف جامع العباس لقرب المشابهة بين الجامعين ان وضعا وان زخرفا فنقول :

جامع الحسين من المساجد العجيبة الرائقة البديعة الصنع ، الفائقة الحسن وهو من اعظم مساجد العراق مثالا ، واتقنها هندسة وصناعة ، وابدعها حسنا وبهجة ، وهو على شكل مستطيل طوله قرابة ٧٠ مترا في عرض يقارب ٥٥ مترا وللمسجد ٦ ابواب ضخمة جميلة الوضع وفي كل باب طاق مرتفع معقود بالحجر القاشاني وكل باب ينتهي بك الى حي من احياء المدينة ، وفناء المسجد كله فناء واسع فسيح الارجاء

مفروشة أرضه بالرخام الأبيض الناصع وكذلك جداره فان وجهه الأسفل مغشى بالرخام الى طول مترين ، وما فوق ذلك مبني بالكاشاني الجميل القطع والصنع ، ويحيط بهذا الصحن جدار يحصنه قد اقيم عليه طبقتان وفي الطبقة السفلى قرابة ٦٥ غرفة جميلة امام كل غرفة ايوان قوسي الشكل معمور الحيز الكاشاني .

وفي وسط فناء الصحن الروضة المقدسة وهي من العجيب البنائي والقباب والذهب المكلل ، وفرشها بالطنافس . والعقدت من كل جهة بطارق يدخل اليها من عدة ابواب ليس هنا محل ذكرها والمشهور منها الباب القبلي ، ويعلوها القبة الذهبية الصافية وفي جوانبها سهوات محكمة البناء بديعة الشكل في هيئة الطارمات مرصعة بقطع من المرايا بأشكال مختلفة ومجامع النقوش ، والداخل منها مفروشة ارضها بالرخام وكذلك جدارها الاولى فانه موازي له الى مترين مرصع كله بالزجاج ترصيعاً هندسياً بالغ تقديره ، وسقف هذه الصفة الاولى ايوان محكمة من الساج وهذا الباب يؤدي من الباطن الى رواق يحيط بالحرم — الروضة — من شرقيها وجنوبيها وغربيها ، وفي ايسك تحت قبر حبيب بن مظاهر وعليه شباك من الشبه فتدخل باستقامة الى باب آخر من الفضة الناصعة العجيبة الصياغة الى داخل محكم الصنع مغشى بألوان زاهية بديعة ، وهو الروضة او الحرم الذي فيه قبر الحسين وطوله ١٠ امتار و٤٠ سنتمتراً وعرضه ٩ امتار و١٥ سنتمتراً ، وفي داخله من انواع الثريات المتدلية في اواخر الصفة ما يحير العقول ، واكثر ذلك مغشي بالذهب الوهاج مغطى بلون لا نوراً وكم هنا الترى ، ويحلي بصور متعلقا في مكانها بالقوالب والمربعات من الجواهر الثمينة والتماثيل الذهب والفضة ، ونحو ذلك من التحف الاثرية التي في القبر الشريف التي اهداها اليه ملوك الفرس والاكابر الهند في عصور مختلفة ما يعجز القلم البليغ عن وصفها والاحاطة بكل محتوياتها من نفائس الجوهرات ، واللآلئ .

وفي اقصى الحرم مصطبة نفيسة تحتها رمس الامام ، والمصطبة بديعة الصنع والنقش والقبر محجبة الصنع والجلوين يؤدي من وراء مشبك من الفضة الناصعة (١) وهو ذو اربعة اركان وفي جانب الطول منه ٨ شبابيك وفي العرض ٦ شبابيك وعرض كل شباك منها ٨٠ سنتمتراً ويخرج من وسط الجانب الشرقي منه مشبك صغير من الفضة

---

(١) لغة العرب العدد السادس من المجلد الثاني

الف على ضريح ابنه علي الأكبر الذي قتل معه — وهو غير علي زين العابدين الذي قيد مع الأسرى الى الشام — وطول مشبك الحسين ٥ امتار ونصف متر في عرض ٤ امتار ونصف متر وارتفاعه ٣ امتار ونصف متر وطول مشبك الابن متران و ٦٠ سنتمتراً في عرض متر و ١٠ سنتمترات، وفي اعلى مشبك الحسين ١٦ آنية مستطيلة الشكل كلها من الذهب الابريز وفي كل ركن من المشبكين رمانة من الذهب يبلغ طولها قرابة نصف متر وفناء ذلك الحرم مغطاة بقطع من الزرابي [illegible] الشكل لا يقدر ان يصفه واصف .

وفي الزاوية الجنوبية من الحرم قبر الشهداء وهم مدفونون في ضريح واحد وفي وجه تلك الزاوية مشبك من الفضة الناصعة طوله اربعة امتار و ٨٠ سنتمتراً وهو عبارة عن ٤ شبابيك عرض كل واحد منها ٧٥ سنتمتراً وارتفاعه متر و ٧٠ سنتمتراً . وسطح الحرم كله قبة شاهقة مصفحة من اسفلها الى اعلاها بالذهب الابريز وفيها يحيط بها من الاسفل ١٢ شباكاً عرض كل شباك متر واحد من الداخل ومتر و ٣٠ سنتمتراً من الخارج وبين كل شباك وشباك متر و ٣٥ سنتمتراً من الداخل ومتر ونصف متر من الخارج ويبلغ ارتفاع القبة من اسفلها اي من سطح الحرم الى اعلاها [illegible] ٥ امتار .

وفي هذا الجامع الآن مآذن كثيرة [illegible] ذهبيتان [illegible] في البناء [illegible] مئذنتان بالذهب الوهاج وما حول الحرم الثلاثة [illegible] وفي مصطفة [illegible] من الجانب الشرقي [illegible] مآذن كثيرة مبنية بالآجر [illegible] ومجمل القول ان الكاتب مهما اوتي من البلاغة والفصاحة والاسهاب في الوصف لا يمكنه ان يصف كل ما في هذا المشهد العظيم من الابنية والاروقة والغرفات وما كتب على الابواب من شعر او آيات من نحو النثر ،

ملاحظة تاريخية في بناء المسجد والقبر

يدل التاريخ على ان ايام قتل الحسين لم يوجد من كان [illegible] من قبره في كتابه « كامل الزيارة » ان الذين دفنوا الحسين رضي الله عنه اقاموا رسماً لقبره ونصبوا له علامة [illegible] لا يندرس اثره . وفي سنة ٦٥ هـ ٦٨٤ م قدم لزيارته سليمان بن صرد الخزاعي مع التوابين لاخذ ثأر الحسين واصحابه ، وقد ازدحموا

على قبره كازدحام الناس على الحجر الاسود ولم يكن اذ ذاك ما يظلل قبره الشريف . وجاء في « كنز المصائب » ان المختار بن ابي عبيد الثقفي قام بتشييد قبره واتخذ قرية حوله ، وذكر صاحب كنز المصائب عن ابي حمزة الثمالي — المتوفى في عهد المنصور العباسي — عن ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ما نصه « ... اذا اتيت الباب الذي يلي الشرق فقف على الباب وقل ... الى ان قال ثم اخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء ... » وايد هذا النقل خبر الشيخ الطوسي في المجلد ٢٢ من البحار ٨٠ — ١٠٢ طبع ايران والسيد ابن طاوس في اقبال الاعمال صفحة ٥٨٢ طبع عجم » وهذا ما يدلك على ان له بناء شريفاً تقريباً وخلاصة القول انه كان في اواخر الدولة الاموية واوائل الدولة العباسية بناء ومسجد على قبره ومع هذا فقد كان الامويون يضيقون على قبره المسالح لمنع الوافدين اليه من زيارته .

ولم يزل القبر بعد مطلوباً في امنه وهو بعيد عن كل الحوادث الاستثنائية للدولة العباسية بادارة شؤون الملك وتطورها بالدعوة "الامر طوع آل البيت" وارجاع سلطة الهاشميين وبخاصة ان القائمين بالدعوة كانوا من اهل خراسان ، واكثر هؤلاء ان لم نقل كلهم كانوا من انصار آل هاشم ، ولما رسخت قدم العباسيين في البلاد وقمعوا الثورات جاهروا بالعداء لذرية علي رضي الله عنه ، وكذلك كانت خطة الولاة ايام المنصور والمهدي والهادي ، وثقلت وطأتها عليهم ايام الرشيد فانه تظاهر بمعاداة العلويين فنكل بكثير ، وقتل بذواتهم واتلف معظمهم حتى انه سجن عدداً كبيراً من سادات آل البيت وخرب قبر الحسين وقطع السدرة وكرب موضع القبر ، وعلى ذلك كان لا يزوره من شيعة علي ، ولما جاء دور المأمون تنفس الشيعة الصعداء ، واستنشقوا ريح الحرية الرطيب ، فكان المأمون يتظاهر بحبه لآل البيت محاباة لهم حتى انه استعاض بلبس السواد وهو شعار العباسيين بلبس الخضرة وهو شعار العلويين واوصى بالخلافة من بعده لعلي الرضا بن موسى الكاظم وقلده كرد ببيعته في الآفاق ، مسترضياً ناصريه الخراسانيين ، وفي زمن المأمون اعيد موضع القبر والبناء عليه الى ما كان .

ولم يزل القبر في هذا الدور والشيعة في حالة حسنة الى ان جاء دور المتوكل فضيق الخناق عليهم وطاردهم في الآفاق وامر بهدم قبر الحسين وحرث ارضه واسالة الماء عليه واقام في المسالح اناساً يترصدون من يأتي لزيارته او يهتدي الى موضع قبره فنال الشيعة من ذلك كرب عظيم ، وقد بانت فرقة الشيعة حية في الحرية على عهد

المنتصر وكان هذا محباً لآل البيت وبرّاً بأقربائهم مكانتهم معظماً قدرهم ومن حسناته اليهم انه شيد قبر الحسين ووضع ميلاً عالياً يرشد الناس اليه ، وفي خلافة المسترشد بالله ضاقت الارض على رحبها بالشيعة لما اخذ المسترشد جميع ما اجتمع في خزانة القبر من الاموال والجوهرات فانفق على جيوشه قائلاً ان القبر لا يحتاج الى خزينة الا انه لم يتعرض للبناء ولم يمسه بسوء ، من ذلك الحين اخذت كربلاء بالاتساع فاتخذت الدور وشيدت القصور واقيمت الاسواق

وكان البناء الذي شيد في عهد المنتصر قد سقط في ذي الحجة سنة ٢٧٣ هـ ٨٨٦ م فقام الى تجديده محمد بن زيد القائم بطبرستان في خلافة المعتضد العباسي سنة ٢٨٣ هـ ٨٩٦ م . وقد زار القبر عضد الدولة بن بويه ٣٧٠ هـ ٩٨٠ م بعد ان بالغ في تشييد الابنية حول الضريح وكان عدد من جاور القبر في ذلك العهد من العلويين ٢٢٠٠ نسمة فاجزل لهم عضد الدولة في العطايا وكان ما بذل لهم مائة الف رطل من التمر وكان آل بويه من انصار مذهب الشيعة واستفحل التشيع على عهدهم حتى ان معز الدولة امر سنة ٣٥٢ هـ ٩٦٣ م باقامة المأتم في عاشوراء فكان ذلك اول مأتم اقيم في بغداد وفي سنة ٤٠٨ هـ ١٠١٧ م شبت النار حول الضريح من شمعتين كبيرتين سقطتا على المفروشات فالتهمت النار القبة وتعدتها الى الاروقة ولم يبق من المشهد الا السور الوثيق من الحرم القديم وهو الذي وصفه ابن بطوطة في رحلته وفي سنة ٧٦٧ هـ ١٣٦٦ م شيد السلطان اويس الايلخاني المشهد والحرم واتمه واكمله ولده السلطان حسين وقد وجد تاريخ هذا البناء على النقش المعروف عند اهالي كربلاء بسطح مرمر بجانبي الرأس وقد شاهده محمد بن سليمان بن زوير السليماني وقد كان ازال هذا التاريخ سنة ١٢١٦ هـ ١٨٠١ م . وفي سنة ٩٣٢ هـ ١٥٢٥ م . اهدى الشاه اسماعيل الصفوي صندوقاً بديع الصنع الى القبر الطاهر وفي سنة ١٠٤٨ هـ ١٦٣٨ م شيد السلطان مراد الرابع العثماني القبة المنورة وجصص خارجها وفي سنة ١١٣٥ هـ ١٧٢٢ م نهضت زوجة نادر شاه وكريمة حسين الصفوي الى تعمير المسجد المطهر وانفقت على ذلك اموالاً لا تحصى ، وفي اوائل القرن التاسع عشر اهدى فتح علي شاه احد ملوك ايران شبكة من الفضة وهي اليوم موجودة على القبر وفي ١٢١٦ هـ ١٨٠١ م امر محمد علي خان بتزيين الحرم الشريف وتعميره وبذل لذلك مبالغ وافرة . ويوجد اليوم على ابواب الفضة فوق الآيات القرآنية فيما يقابل

الرحبة الشريف ، وحوالي هذا التاريخ امرت زوجة فتح علي شاه بتذهيب المأذنتين ، وفي سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٦٥ م ذهبت قبة الحرم بالذهب على نفقة ناصر الدين شاه كما هو مكتوب في حائطها فوق الشبابيك بسطر من ذهب فيه بعض الآيات ولم يحدث بعد ذلك ما يستحق الذكر سوى ما جددت البناء في العهد الاخير ادارة الاوقاف ، هذا مجمل ما امكن الوقوف عليه من تاريخ المشهد والقبر والله علام الغيوب ،

«٣» وصف خزائن الائمة في النجف وكربلاء

يوجد في كربلاء والنجف خزائن قديمة العهد فيها آثار ذات قيمة لا تثمن اكرمها خزائن الحسين والعباس رضي الله عنهما في كربلاء وخزائن الامام علي كرم الله وجهه وقد حوت هاتان الاخيرتان من الآثار التاريخية الثمينة ما لا يمكن وصفه لانهما نجتا بعيدتين عن ايدي الوهابيين الذين هاجموا العراق في اوائل القرن التاسع عشر . واما خزائن الحسين والعباس فقد تناولتها يد الضياع وذهب اكثر ما فيها اثناء الغارة الوهابية على كربلاء .

اما خزينة الامام علي في النجف فقسمان منها واحدة لم تفتح ولم ترها عين انسان الا مرة واحدة حينما اتى ناصر الدين شاه في اواخر سنة ١٨٧٠ م لزيارة قبور الائمة في العراق ، وكان ذلك بارادة سنية استحصل امرها من السلطان عبد العزيز خان ، فاستحضر الاحتفال فيها كامل باشا ناظر الاوقاف ، ويقال بالتماس ناصر الدين شاه من السلطان عبد العزيز اخرج منها قنديل مرصع بالحجارة الكريمة قيمته ٦٥٠٠ ليرة وعلق في المصطبة التي تحت رأس الامام وهذا القنديل لا يزال موجوداً الى اليوم . وقد اهدى ناصر الدين شاه الخزانة سيفاً ثميناً مرصعاً باليواقيت والجواهر ، وبعد ان تفقد ناصر الدين شاه ما فيها من الآثار النفيسة الثمينة وضع في قفلها ختم مدحت باشا والي بغداد وكامل باشا ناظر الاوقاف ، وقد اختلف الناس في تخمين ما في هذه الخزانة من الجواهر فالبعض يدعي ان ما فيها من الجوهرات تقدر قيمته ٣٠ مليوناً من الجنيهات حتى قيل ان هنالك درة كبيرة لا تثمن محفوظة في ظرف من الزجاج ومن الاقوال المأثورة فيها انها تقوم بنفقات العراق في الحرب ، وهذه تعد اليوم من جملة المخلفات النادرة في ضريح الامام علي وما يوجد من التحف القيمة في اموال وخزائن

الامام وهو ما يسمونه عندهم « كليددار »(١) ان ما في هذه الخزانة وحدها تساوي قيمتهُ من ٣٠٠ الف ليرة الى ٧٠٠ الف ليرة

اما الخزانة الثانية فليست مفتوحة في كل وقت ولا يدخلها كل احد ومن النفائس ما يحتونه تاج ثمين عريق في القدم كان اهداه احد سلاطين الهند قيل ان ثمنه يساوي ١٠٠٠ جنيه ذهبي وهناك سيف مرصع بالزمرد يقدر ثمنه بالفي ليرة ، وفيها سجادات ثمينة دقيقة الصنع كان يجلس عليها ملوك الفرس وكل قطعة منها تساوي الف جنيه ، واما ما فيها من شالات الكشمير والامتعة التي تحار لها العقول وتتشوق الابصار فما لا يحصيه احد ولا يحيط به واصف مهما اوتي من البلاغة

ويوجد اليوم في ضريح الامام علي [illegible] لا نظير لها [illegible] من الزجاج فيه تاج مرصع بالحجارة الكريمة يقال انه تاج ملك من ملوك ايران الغابرين ، هذا عدا ما هناك من القناديل الذهبية والمعلقات البديعة الشكل ، ويدخل في عداد ذلك مكتبة مخصوصة حوت نفائس المخطوطات العديمة النظير منها نسخة من القرآن الكريم بخط الحسين بن علي بن ابي طالب الى غير ذلك من نوادر الكتب وثمين المخطوطات ،

واما الخزانة [illegible] فهي [illegible] الخزائن بعد خزانتي الامام علي وهي عبارة عن مستودع اسلحة هو عبارة عن غرفتين [illegible] ذات غرارين [illegible] وذات حد واحد ، والذي يؤسف له [illegible] ولاة الامر هذه الاسلحة القديمة التي اصبحت [illegible] وفيها صناديق عديدة مملوءة بانواع الشالات الثمينة واستار من الحرير الخالص ، ومصابيح وشمعدانات ذهبية فاخرة ، وسيف ذهبي مرصع محلى بالنقوش الدقيقة ، [illegible] من الالماس ذات قيمة غالية ، ومسرجة وشمعدان فاخرة مرصعة بالحجارة الكريمة قيل انها [illegible] ، هذا [illegible] جلد ثمين [illegible] بابدع التصاوير [illegible] النقوش ، ومنها سجادة مصنوعة من الحرير دقيقة الصنع اهداها الى الخزانة الشاه عباس وقد كتب في حاشيتها « كلب استانة حضرة عباس » اي كلب عتبة حضرة العباس ،

والخزانة لامام الحسين [illegible] على [illegible] شيء جدير بالذكر ، وكل ما هناك

---

(١) لفظة مركبة من كلمتين هما « كليد » اي الكليد وهو المفتاح والكلمة الثانية « دار » اي صاحب فتكون معناها صاحب المفتاح او حامله

١٦ انه مستطيلاً كلها من الذهب الابريز، هي الآن موجودة في الباقي . شباك الحسين وقد مر ذكرها، وسبب فقر خزانة الحسين يأتي من وقوعها في أيدي الوهابيين واستصف في غير هذا الوطن ما نهبه الوهابيون من خزانة الحسين من مجوهرات وغيرها

انك تتعجب من غنى هذه الخزائن، ولكنك لو جئت الى كربلاء لرأيت السقاية كثيرة، مساكنها لا يوجد في اليوم مدرسة تامة لاولاد ... وقد شاهدت قرى كربلاء واعمالها واحدة بعد الاخرى ورأيت كلها — بما النجف الاشرف الذي هو اليوم مقر العربية وموطن ادبائها وفضلائها — في اسوأ حال بل رأيت الجهل مستتباً بين ابنائها ... الى القول لو ان اهل الحل والعقد في العراق يؤلفون جمعية يشترى بها الناس ليبيع هذه الآلي في اسواق اوربا او يشترون بأثمانها عقارات او يشقون جدولاً او يفتحون بالبصرة مصرفاً اهلياً يساعد الفلاحين في قضاء حاجاتهم او ... ويؤسسون مدرسة عالية في النجف او كربلاء تدرس فيها العلوم الحديثة العربية شرطاً ان يستقدموا الاساتذة من علماء مصر والشام ويعقدوا ... من ريع تلك العقارات او من مكاسب المصرف لخدموا القطر العراقي خدمة تذكر فتشكر وكانت الفائدة ... هناك ... اكثر فائدة واعظم شأناً ... ويشقون بالثانية ... نهر الفرات او يمدون سكة حديدية بين بغداد وكربلاء فتقرب البلاد ... من بعضها ... الثروة ... التجارة ... في المدرسة ... الزمن من الفكر بالعقل والعمل الى ما فيه خير العموم لا وقت الكسل والخمول والاتكال على القدر ... في وقت الحاجة والضيق ... في وقت ... الاقوام الى الاستفادة ... الحضارة ونحن في ظلمات الجهل ... الشعوب الى ... ونحن في ذلك لاهون، ولا اظن ان احداً يعارض هذه الفكرة او يحول دون ابرازها الى الوجود سواء كان من رجال الحكومة او من رجال الجعفرية ... حيث ... النجف ... ان يكونوا اول الناظرين بهذا الامر لانهم ... العراق ... الامر والنهي ... ويكتبون مقالات في هذا الشأن ... الهادي الى طريق الصواب

« ٤ » نبذ من تاريخ كربلاء القديم والحديث

لم تكن كربلاء في العهد البعيد قبل الفتح الاسلامي بلدة تستحق الذكر، ولم يرد ذكرها في التاريخ الا نادراً واكثر ذلك في عرض الكلام عما كان يقع في الحيرة وقرى الطف من الوقائع . وكانت قبل ان يفتحها المسلمون قرية حقيرة عليها مزارع وضياع لدهاقين العجم ، وكان سكانها اهل حراثة وزراعة وظلت كذلك الى ان افتتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٤ هـ و٦٣٥ م ، وكان الفاتح لها ابن عرفطة بامر سعد ابن ابي وقاص قائد جيوش المسلمين في حرب القادسية ، وقد كانت العرب صممت على ان تجعلها مباءة لجيوشها ومركزاً للادارة مما افتتحوه من ديار الحيرة فاتخذوها بادئ بدء معسكراً ثم رحلوا عنها عندما انكروا وخامة هوائها وكثرة ذبابها فنزلوا الكوفة . والى ذباب كربلاء اشار رجل من اشجع في قصيدته :

لقد حبست عن كربلاء مطيتي وفي العين حتى عاد غثاً سمينها
اذا رحلت من منزل رجعت له لعمري وايها انني لأهينها
ويمنعها من ماء كل شريعة رفاق من الذبان زرق عيونها

ولما رحل المسلمون عنها قل شأنها وكادت تعفو رسومها ويمحى ذكرها وما زالت كذلك الى ان عاد ذكرها لما حدث حولها سنة ٦١ هـ ٦٨٠ م من الحوادث الخطيرة التي ادهشت العالم الاسلامي الا وهي وقعة كربلاء او الطف المحزنة التي قتل فيها الحسين بن علي ونفر قليل من اصحابه « رضي الله عنهم » لمطالبته بالخلافة وامتناعه من مبايعة يزيد بن ابي سفيان لانه يرى نفسه احق بها منه ، ومن ذلك الحين ذاع صيت هذه المدينة في الآفاق وانتشر في الاقطار ، وقد جاء ذكرها في اشعار العرب ودواوينهم ومع هذا لم تكن في القرن الاول الهجري عامرة ، ومع ما كان في انفس الهاشميين وشيعتهم من مجاورة قبر الحسين لم يتمكنوا من اتخاذ الدور وتشييد البنايات خوفاً من سلطان بني امية ، وقد اخذت في التقدم في اوائل الدولة العباسية ورجعت القهقرى في ايام الرشيد وقد ازداد خرابها في ايام المتوكل لانه هدم قبر الحسين ورحل عنها سكانها، ثم اخذ الشيعة ايام المنتصر يتوافدون الى كربلاء افواجاً افواجاً ويعمرونها، ثم ضخمت في القرن الرابع للهجرة وقد زارها عضد الدولة بن بويه سنة ٣٧ هـ ٩٨٠ م وكانت مدينة

عامرة آهلة بالسكان يقطنها آلاف النفوس وقد وصفها ابن بطوطة فقال :

« هي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات ، والروضة المقدسة داخلها ، وعليها مدرسة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخلها احد الا باذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الأبواب أستار الحرير واهل هذه المدينة طائفتان اولاد رخيك واولاد فايز وبينهم القتال ابداً وهم جميعاً امامية ولاجل فتنتهم تخربت هذه المدينة » .

ولم تزل كربلاء بين صعود وهبوط ورقي وانحطاط تارة تحط فتخضع لدول الطوائف وطوراً تعمر متقدمة بعض التقدم الى ان دخلت في حوزة الدولة العثمانية سنة ٩٤١ هـ و١٥٣٤ م . واخذت تتنفس الصعداء مما اصابها من نكبات الزمان وحوادث الدهر التي كادت تقضي عليها . وبقيت وهي مطمئنة البال مدة طويلة تزيد على ثلاثة قرون لم تزل في خلالها تكثر عمرانها وسكانها حتى اذا جاءت سنة ١٢١٦ هـ ١٨٠١ م جهز الامير سعود الوهابي جيشاً عرمرماً مؤلفاً من ٢٠ الف مقاتل وهجم بهم على مدينة كربلاء وكانت على غاية من الشهرة والعظمة يقصدها زوار الفرس والترك والعرب فدخل سعود المدينة بعد ان ضيق عليها وقاتل حاميتها وسكانها قتالاً شديداً وكان سور المدينة مركباً من اخلاط نخيل مرصوصة خلف حائط من طين ، وقد ارتكب الجيش فيها من الفظائع مالا يوصف حتى قيل انه قتل في ليلة واحدة ٢٠ الف نسمة وبعد ان اتم الامير سعود مهمته الحربية التفت نحو خزائن القبر وكانت مشحونة بالاموال الوفيرة وكل شيء نفيس فاخذ كل ما وجد فيها ، وقيل انه فتح كنزاً كان فيه اموال جمة جمعت من الزوار ، وكان من جملة ما اخذه لؤلؤة كبيرة وعشرون سيفاً محلاة جميعها بالذهب ومرصعة بالحجارة الكريمة واوان ذهبية وفضية وفيروز والماس وغيرها من الذخائر النفيسة الجليلة القدر . وقيل ان من جملة ما نهبه سعود اثاثة الروضة وفرشها منها ٤٠٠٠ شال كشميري و٢٠٠٠ سيف من الفضة وكثير من البنادق والاسلحة وقد صارت كربلاء بعد هذه الوقعة في حالة يرثى لها .

وقد عاد اليها بعد هذه الحادثة من هاجرها واصلح بعض خرابها وعاد اليها العمران رويداً رويداً وقد زارها في اوائل القرن التاسع عشر احد ملوك الهند فاشفق على حالتها وبنى فيها اسواقاً حسنة وبيوتاً قوراء اسكنها بعض من نكبوا ،

وبنى البلدة سوراً حصيناً لصد هجمات الاعداء واقام حوله الابراج والمعاقل ونصب له آلات الدفاع في الطرز القديم وصارت في من يهاجمها امنع من عقاب الجو فامنت في نفسها وعاد اليها بعض الرقي والتقدم

وفي سنة ١٢٤١ هـ ١٨٢٥ م وقعت واقعة عظيمة تعرف بوقعة «المناخور» امير الاخور اي امير الاصطبل ، وذلك ان الدولة العثمانية كانت في ذلك الزمن ضعيفة لاختلال الجيش الانكشاري واستقلال البلاد الشامية واشتغالها بمحاربة العصاة في البلقان وطموح محمد علي والي مصر الى الاستقلال واستقلال علي باشا التبه [illegible] البلقيا ، وكان والياً في العراق اذ ذاك داود باشا وكان [illegible] عادلاً ورعاً مشهوراً بالدهاء وفرط الذكاء الا انه كان شديد الحرص في الاصلاح من جسم الدولة والاستقلال بالعراق اسوة بمن تقدمه ، فسعى بادئ بدء الى جلب قلوب الاهالي بما انشأه من العمارات والبنايات والجوامع والتكايا ، وقرب علماء العراق وبالغ في اكرامهم ونظم جيشاً كبيراً وسلحه في الطرز الحديث حينئذ فقام بعد ذلك يدعو الناس الى بيعته ، ولكثرة ما كان لديه من الاعوان بايعته اكثر مدن عراق العرب الا كربلاء والحلة رفعتا راية العصيان وعند ذلك سير جيشاً ضخماً بقيادة امير اصطبله وكانت عشيرة عقيل تعضده فاخضع القائد الحلة واستباح حماها ثم جاء كربلاء فحاصرها ثمانية عشر شهراً ولم يفلح في افتتاحها لحصانة سورها ومناعة معاقلها ، ولما رأى ذلك القائد [illegible] ضرب عليها اتاوة وتركها ولم يظفر بامنيته الا بعد حصار طالت مدته اربع سنوات من سنة ١٢٤١ هـ ١٨٢٥ م الى سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٢٩ م وكانت نتيجتها ان اسر الجيش نقيب كربلاء فحبسه داود باشا في بغداد

وفي سنة ١٢٥٨ هـ ١٨٤٢ م شق اهالي كربلاء عصا الطاعة في الدولة وابوا اداء الضرائب والمكوس وكان والي العراق نجيب باشا ، فجهز جيشاً بقيادة سعدالله باشا وسيره الى كربلاء فحاصرها حصاراً شديداً وامطر المدينة بوابل قنابله ولم يساعده الحظ في افتتاحها لان سورها كان متيناً جداً وقلاعها محكمة لا يمكن القائد الدنو منها ، ولما اعيت به الحيل الحربية التجأ الى الخداع فاعطى الامان للعصاة وضمن لهم عفو الحكومة فاخلوا القلاع وجاؤه طائعين فقبض عليهم وسلط المدافع في جهة السور الشرقية فهدمها وادخل المدينة ناراً حامية ، ففتحها وارتكب فيها كل فظاعة وشناعة ، ودخل بجيشه الى صحن العباس وقتل كل من لاذ بالقبر

وبهذه الوقفات اعاد سلطة الحكومة الى تلك الربوع

وفي سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٤٢ م ظهرت فتنة في كربلاء تعرف بفتنة (علي هدلة) وذلك ان جماعة من المفسدين حرضت الاهالي على مناوأة الحكومة وكانت افكار الاهالي مستعدة لقبولها فالفت عصابة بقيادة «علي هدلة» وقابلت الجيش العثماني ودحرته في مواقع متعددة . ولما رن صدى هذه الحادثة في الاستانة قلق السلطان المخلوع واصدر ارادة سنية بارسال الجيوش الى كربلاء لتدميرها وقتل من فيها عن بكرة ابيهم . ولما [illegible] تنفيذ الارادة بها كلف [illegible] والي بغداد والمشير حسين باشا وكان قائداً للجيش تجاه الاشقياء في كربلاء . وصحبهما احد علماء بغداد [illegible] وضربوا المضارب قرب المدينة [illegible] في المدينة آثار العصيان والتمرد . وقد علم بعد البحث الطويل ان العصاة عصابة ارتكبت اثماً واقترفت ذنباً يطاردها الجيش وليس من العدل هدم المدينة . وتنفيذ الارادة السنية في سكانها . فاخذ الرئيس [illegible] المذكور فاحجم عن تنفيذ ذلك وفاتح القائد العام فأبى هذا الا الاصرار على تنفيذ الاوامر فحدث من ذلك خلاف بينهما فراجع الاستانة وخاطبها بالامر وبعد اخذ ورد صدر الامر بالعفو . فرحل الجيش عنها بعد ان قبض على مدبري الفتنة وموقدي نيرانها فاودعهم الى بغداد وهناك القاهم في اعماق السجون

بغداد ابراهيم حلمي

* * *

فجر العام الجديد

اقفت [illegible] الدجى اجله　　وودعته النجوم مرتحله
وهيمنة الليل قد مضت سحراً　　شرارة النور فهي مشتعله
ومقلة الفجر في [illegible]　　ما برحت بالظلام مكتحله
لا سائر في السبيل منفرد　　في طاعة او [illegible]
الا خبير يمشي الى عمل　　حتى [illegible] المعجله
يجول في كفه هراوته　　او يشبه البرق طارداً مثله
والجيش [illegible]　　[illegible]
يعزل للارض سندساً بهجاً　　يكتنفي في الربيع [illegible]